الإهداء

إلى مريم:

ظمأُ القلب ورِيَه[١]

١ أمل دنقل.

مقدمة بقلم: محمد سمير رجب

هذه عودة إلى وقت كان القلب ينبض والقلم ينزف ليقرأ الجمهور آياتٍ من الفن الخالص، وقت كان الأمل يداعب الأدباء لخلق عالم إنساني، يسيطر فيه الحب وتنزوي الكراهية.. وقتٌ كان الأمل مشروعا قبل أن تركسه ويلات السياسة والحروب والإخفاقات المتتالية لتوليف القلوب والشعوب والأوطان ..

ثلاثة أعمال تقطر حبا وبؤسا، تنير مجاهل الإنسان الرقيقة وتفتح طاقات النور لعل نفوسنا تَعِبُ من هذا النور، كلٌ على قدر استطاعته.

لكن، هل يجتمع الحب والبؤس! الواقع أن الأعمال الثلاثة تقرُ بأن الحب مع البؤس أكثر تناغما معا من الحب مع الترف الذي يميت القلب ويحجر الوجدان؛ حتى إن قلبَ التمثال النحاسي ينفطر ولا ينفطر قلب إنسان مترف لاه من لحم ودم.. بل إن قلبي "سيمون" البائس وزوجته الغضوب "ماتريونا" يحملان من الحب أكثر مما يحمل قلب النبيل الجاف الذي يريد أن يلقي بهم جميعا في السجن إن هم أخطأوا في صنع حذائه. حتى قلب الزوج الرقيق في قصيدة "بوشكين" ليحمل من العاطفة أكثر مما يحمل قلب عجوزه الشمطاء التي تقلبت في النعم لكنها لا ترضى أبدا بل تطمع في المزيد، وتطمح إلى ما هو أكبر وأكثر: الغنى، الجاه، السلطة المطلقة.

تذكرني تلك الأعمال برواية "الكوخ الهندي" ل "برناردان دي سان بيير" حين وجد الباحثُ الحقيقةَ مع البساطة في كوخ يقطنه رجلٌ منبوذ يعيش

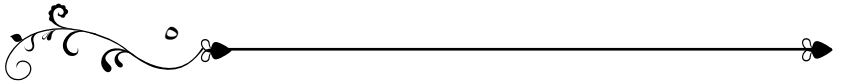

حياة فلاح مسكين، يجمع قوت يومه ولا يبالي بغدٍ ولم يجدها في قصور الكهنة الكبار الذين تتطلب مقابلاتهم طرقا معينة مدروسة للقاء والحديث والبوح والاستماع.. كل شئ مدروس بدقة، لكن لا حقيقة على الإطلاق!

ولعل تلك الخفقة الوجدانية التي يشعر بها القارئ لا تتم إذا لم تكن الترجمة على قدرٍ عالٍ من الحرفية والإتقان، بل لا تتم إذا نقص الإتقان شيئًا هامًا جدًا: وهو أن يعيش المترجم نفسه داخل النص، متفاعلًا معه وبه.. هاضما إياه بداخله ليعيدَ تشكيله من جديد في لغة جديدة؛ فالترجمة ليست نقلًا بل إعادة إبداع للنص، لكنه إبداع من نوع خاص، إبداع محدود بحدود النص الأصلي؛ فلا يجوز لمترجم أن يتجاوز أو يتعدى على الأصل ولا يصح أن يكسرَ عتبة من عتبات النص الأصلي.. هو إذن إبداعٌ مقيدٌ.

ومن آيات جمال النص والترجمة إحساس القارئ بالحرية والانطلاق على جناحي السنونو وهو يطير محلقا فوق المدينة، أن ينخفض مارقًا بين الأزقة المظلمة ليطَّلع ويطلعَك معه على البهرجة الفارغة والفاقة الموجعة؛ كاشفًا تاريخًا حقيقيًا مقيتًا من القهر والظلم، فأناسٌ تموت من التخمة وآخرون يموتون شاحبين من السغبة !

عموما، لقد فرحت جدًا بهذا العمل وارتياد الأستاذ هشام عيد ساحات الترجمة التي يصر على أنه يطأها على استحياء، ونراه دخلها منتصرًا فاتحًا.. لكنها شيم الجادين الذين دوما- يتعدى طموحهم أهدافهم ، ويرومون غايات بعيدة يستقلون ما قطعوا في سبيلها.

تقديم

هذا نصوصٌ ثلاثةٌ لثلاثة مبدعين عظماء والرابع لكهلٍ غر: القصيدة الأولى لألكسندر بوشكين شاعر روسيا العظيم عن نصٍ للأخوين جريم، جمعوها من على ألسنة الفلاحات في ألمانيا، والترجمة الأعظم لشاعر أجهله. أشعر أن روحه تهاتفني لكي أُجليَ الصدأ عن حروفه. كل ما أعرفه عن هذا الكنز العربي الفخيم أن رجلاً عجوزا طيب القلب اسمه عبد الحليم آثرني به على سبيل الهديه. جل همي، لا أن أنتسب إليه، بل أن يقرأه العالم العربي في هذه الصيغة المبهجة، أن يغنيه الأطفال، أن نصل إلى هذا الشاعر المغبون. وأني لأحمد الله حمدًا لا ينقطع وأحمده إلى العم عبد الحليم أن يخصني الله بوقوع هذا السِفر بيديّ.

أما المسرحية فهي معالجة قام بها أديب فرنسي لرواية العظيم ديستويفسكي، ترجمتها عن الانجليزية، الحقيقة أني وجدت المعالجة المسرحية أشد ألقا من الأصل. وإني لأثني على الله قدر ما يستحق وفوق طاقتي أن يظل نصًا كهذا بعيدا عن اللغة العربية حتى آثرني به.

والقصة لأوسكار وايلد. أعلم أنها ليست الترجمة الأولي، لكنك أيضا يجب أن تعلم أني لم أطلع على ترجمات السابقين، وأن العسل ما زال في جوف الخلية.

أما الغرُّ الكهلُ، ذلك الذي تمني أن ينضمَ بين دفتي كتاب مع هؤلاء العظام المذكورين آنفا، فيثبت أَفنَهُ شيئان: الأول أنه ترجمَ من لغةٍ إلى نفس اللغة، والثاني أنه نزل بها من فصحى لعامية، من يدري! لعله شق طريقا واهنًا لإنقاذ كتاب عظيم من أتربة الأرفف.. فإن لم يفلح بأغنيته، فليفخر أنه بين أسمائهم.